



الأستاذ الملمم العلامة الجليل الدكتور يحيى الرخاوي المحترم...

تحياتي العربية الإنسانية الإدراكية النقية السامية

وبعد:

فكم تمنيت أن يتيسر لي الوقت لأشرح ما تنورني به من مفاتيح المدارك وأفياض
المكنونات المعرفية , فما أقرأه من كتاباتك يقده الأفكار في خيالي , ويشعرنني بنشوة
الإبداع الأصيل , الذي هو بلسم المواجه والجراح العربية والإنسانية .

وإسمح لي بروح العاشق للمعرفة والهائم بأنوار الإدراك أن أتواصل معك عن العقيدة ,
ولا أجزم برؤيتي ولا أتمسك بما إتضح لي , لأن التراكم الإدراكي يفتح أبوابا مغلقة ,
ويفجر ينابيع رؤى معتقة , ومناهل أفكار متأهبة من خلف حجاب.

تمنياتي بدوام الصحة والعافية والعمر الإبداعي المديد

وعاش يراعك وهجا إدراكيا , وقبسا نورانيا تستضيئ به الأجيال.

صادق

العقدة من العقد: نقيض الحل , عقده يعقده عقدا , والعقدة حجم العقد , والجمع عقد. ويقال عقدت الحبل
فهو معقود , وكلام مُعقد , وأعقدته حتى تعقد , ويعقده أي شدة , والتعقيد هو التواصل في العقد.
ولها معاني أخرى كثيرة لكن المقصود منها التصعيب والتمرير (من المرارة)

العقيدة: من يعتقد والإعتقاد هو الرأي , ورأيهم أي إعتقادهم حتى ولو كان وهما في رأيك.
وكم نميل إلى العقد والتعقيد , فكل واضح مستقيم ننهمك بتعقيده وإقاعده كسيحا!!

ومن المُسلم به أن العقيدة تكون بلا قيمة معرفية وإدراكية , إذا تأطرت وإنحسرت في كينونات
محدودة ومناهج مقننة , حتى لتبدو كالأنفاق الضيقة الخائفة التي يراد حشر الوجود فيها.

فالعقيدة العلمية المقصودة , عقيدة كونية لا تعرف الإنغلاق , أو التحنط في قوالب الجمود
وتجاهل منطلقات الجريان , والتمدد والتبدل وإستيعاب المتغيرات بألياتها الدائبة ,
التي تفرضها إرادة الدوران العظمى.

ولا صيرورة بلا عقيدة , ولا عقيدة بلا مناهج , ولا مناهج بلا حياة , ولا حياة بلا تطور , ولا
تطور بلا تغيير , ولا تغيير بلا دوران , ولا دوران بلا جاذبية , ولا جاذبية بلا طاقة , ولا طاقة بلا
إرادة ونظام يسعى للتعبير عنها وترجمتها في فضاءات وجودها , التي إمتلكك فرصة

العقيدة العلمية المقصودة ,
عقيدة كونية لا تعرف الإنغلاق
, أو التحنط في قوالب الجمود
, وتجاهل منطلقات الجريان ,
والتمدد والتبدل وإستيعاب
المتغيرات بألياتها الدائبة ,
التي تفرضها إرادة الدوران
العظمى

إحتضانها والإنبعاث منها وفيها.

والعقيدة ليست عقدة أو تعقّد وإنعقاد , وإنما منطلق لفضاءات أرحب , ومدارات إدراك أعلى وأكمل , وما يحصل في عوالمنا المختنقة بما فيها , هو التعقد من العقد , وبتراكم العقد يتحقق التشابك وتتحدد الحركة والرؤية , وتصبح الموجودات كالفريسة في بيت العنكبوت تنتظر الإنقراض عليها وافتراسها.

والتفكير في المجتمعات المعاصرة أساسه قدرات الإقناع والمحااجة , وهو أسلوب يُدرّس في المدارس والجامعات , بل وفي رياض الأطفال, لإعداد البشر لإملاك مهارات السلوك المقنع.

وليس كل مقنع صائب , وإنما هو حالة ذات مسوغات وأدلة وحجج ومعززات.

ويداع المحاججات معروف في الفلسفة والآداب والعلوم كافة , فالعقول تتفاعل في متواليات تحاججية , فتبطل بعضها البعض وتثبته , فالحجج تستعرض قواها وقدراتها الدفاعية والبقائية , لكي تحافظ على مبتغاها.

والعلوم بأصنافها منبثقة من أرحام المحاججات المبصرة , التي تسعى إلى جمع الأدلة اللازمة للتعريف بملاحظة ما.

وفي العلوم النفسية والعقلية يبدو ذلك واضحا في كتابات فرويد ومحاضراته , فهو يسعى لبناء قناعة والوصول إلى ما هو معزز بالحجة.

وكذلك الباحثون السابقون له واللاحقون , حيث يتم تناول فكرة ما أو ملاحظة وتطويرها وتسويغها وتقويتها بالأدلة والأمثلة والمقارنات وغيرها من آليات الإقناع والتفنيد المعروفة. والعديد من الأشخاص يحاولون تشكيل قناعات ذات إتجاهات وغايات متنوعة , بعضها تجارية وسياسية ودينية وغيرها الكثير مما يتصل بنشاط البشر.

والنظريات منطوقات ذات آليات إقناعية قد لا تصمد لمعطيات الزمن المعرفية , وما يتراكم من مستجدات علمية وفكرية , لكنها قد تتحول إلى خرائط ومسارات تتحكم بالرؤى والأفكار.

ومن هذه الصياغات التي حملتها البشرية منذ الأزل ما نسميه بالعقائد بأنواعها , وهي مبنية على أدلة تعزز القناعات وترسخها , وبعضها ما يفقده الزمن قدرات التعزيز فيميل إلى إستخدام العواطف والمشاعر والإقامة فيها لتحقيق أعلى درجات الإلتناء للعقيدة أيا كانت.

ولايمكن نفي العقيدة أو تحويلها إلى نفاق معرفي جامد معتق بأوعية العواطف , ومنقطع عن مكانه وزمانه وموجوداته وأحوالها, فهذه متغيرات لا بد لأي عقيدة أن تتفاعل معها وتكون فيها , لكي تتوافق مع إرادة الجريان والدوران.

وقد سمعت شخصا يفسر آية تتحدث عن الأرض وهو يقول بأنّ دوران الأرض حول الشمس

ما يحصل في عوالمنا المختنقة بما فيها , هو التعقد من العقد , وبتراكم العقد يتحقق التشابك وتتحدد الحركة والرؤية , وتصبح الموجودات كالفريسة في بيت العنكبوت تنتظر الإنقراض عليها وافتراسها

النظريات منطوقات ذات آليات إقناعية قد لا تصمد لمعطيات الزمن المعرفية , وما يتراكم من مستجدات علمية وفكرية , لكنها قد تتحول إلى خرائط ومسارات تتحكم بالرؤى والأفكار

لا يمكن نفي العقيدة أو تحويلها إلى نفاق معرفي جامد معتق بأوعية العواطف , ومنقطع عن مكانه وزمانه وموجوداته وأحوالها, فهذه متغيرات لا بد لأي عقيدة أن تتفاعل معها وتكون فيها , لكي تتوافق مع إرادة الجريان والدوران

كل فكرة كأنن حي يتحرك في فضاءاته وجودنا , يبحث

عن حاضنة إدراكية تترجمه
إلى فعل ملموس قد نسميه
ماديا أو غير ذلك

أفك , فلو كان ذلك صحيحا لما تمكنت الطائرة أن تفلح من مطار وتهبط في مطار آخر , وكأنه يرى
أن على الطائرة أن تحلق وتبقى ثابتة , وأن الأرض لو كانت تدور ستجلب المطار المطلوب إليها ,
وأظنه قد أقنع ملايين المُغفلين بهذه الحجة!!

وعندما ذهب نيوتن إلى برج بيزا وأسقط من قمته تفاحته , راح يفسر لماذا سقطت نحو الأسفل
ولم تتخذ إتجاها آخر .

هذه الوقفة الإدراكية جعلته يبصر قوة الجاذبية ويمضي في تعزيز رؤيته وإثباتها , حتى تحولت
إلى قانون أو بديهية.

وأحد الأخوين رايت , كان يقود دراجته وهو يسير في منحدر وبتسارع , وكان يرتدي جاكيتا
طويلا فضربت الريح أطرافها , وإذا به يجد نفسه ودراجته قد ارتفعا في الهواء .

أي أنه طار فوق المنحدر , وهذه الملاحظة المفاجئة بصّرته بأن الطيران ممكن , فما كان منه
إلا أن وضع لوحين خشبيين على مقود الدراجة وانحدر بها ثانية , وإذا بها تطير , وهكذا بدأ
الطيران الذي نعرفه اليوم , فيما أمضت البشرية ملايين السنين تفكر به وتتخيله وما أفلحت إلا بنسج
القصص والحكايات .

هذه تعبيرات ملموسة عن أفكار موجودة , فكل فكرة كائن حي يتحرك في فضاءات وجودنا ,
يبحث عن حاضنة إدراكية تترجمه إلى فعل ملموس قد نسميه ماديا أو غير ذلك .

أما موضوع المادة واللامادة فشان إدراكي آخر ومنهج فلسفي وتصوري أشبعته العقول بحثا
ونظرا .

فالجوهر الأساسي هو قدرات صياغة التفاعل بواسطة آليات تمثل الأفكار وتحرير ما فيها من
القدرات والطاقات والتطلعات .

فالفكرة كالبذرة التي تتضغظ فيها إرادة الشجرة وروحها وشكلها وتطلعاتها وفحواها وأكثر .
والفكرة طاقة ذات إمكانيات مطلقة , وأي فكرة مهما كان نوعها يمكنها أن تنمو وتتسع وتستحوذ
على أجيال من المخلوقات .

فكل فكرة لها مميزاتها وملامحها الفارقة وأشكالها وآلياتها وعمرها أيضا .
فالأفكار تموت ولا تنتهي لأنها تتوالد وتتلاقح وتتواصل متمسكة بجبل الدوران .
فما وجد فوق التراب يتواصل فوقه لأنه يتفاعل معه لتحقيق أمضى درجات البقاء .

وقد أثبتت مسيرة البشرية المعرفية العقلية الإدراكية أن القدرة على صناعة ما يرمز للفكرة حالة
ممكنة وتزداد يسرا وتمكنا , لدرجة أن البشرية قد وصلت إلى عصر مطلق القدرات في التعبير عن
الأفكار وتصنيعها , أي أن البشرية تمكنت من تحويل الفكرة إلى موجود , وهذا يعني أن الفكرة
حقيقة مادية فاعلة ومؤثرة في مسيرة الحياة أيا كان نوعها .

فلا يمكن الجزم بأن الفكرة شئ غير مادي , بمعنى أنها ضرب من اللامحسوس أو الموجود ,
الفكرة حالة مادية ذات مواصفات خاصة وحالات تؤهلها للتفاعل مع العقول , التي إستطاعت الرقي
إلى مداراتها وآفاقها , فلكل عقل قدرة معينة للتواصل مع مستوى من المدارات الإدراكية التي
تحتشد فيها الأفكار .

الفكرة كالبذرة التي تتضغظ
فيها إرادة الشجرة وروحها
وشكلها وتطلعاتها وفحواها
وأكثر

الفكرة طاقة ذات إمكانيات
مطلقة , وأي فكرة مهما كان
نوعها يمكنها أن تنمو وتتسع
وتستحوذ على أجيال من
المخلوقات

لا يمكن الجزم بأن الفكرة
شئ غير مادي , بمعنى أنها
ضرب من اللامحسوس أو
الموجود , الفكرة حالة مادية
ذات مواصفات خاصة وحالات
تؤهلها للتفاعل مع العقول ,
التي إستطاعت الرقي إلى
مداراتها وآفاقها

أن العقيدة العلمية قد أسهمت
في تجديد العقائد الأخرى
بأنواعها , وأكسبتها قدرات
الإنطلاق الأصدق والأرجح نحو
المستقبل

والقول بعقيدة علمية أو دينية أو إجتماعية أو فلسفية أو حزبية وغيرها الكثير , لن يلغي بعضها ,
وإنما يمنحها منهجا ورؤية إدراكية ذات مساحات معرفية وقدرات تفاعلية رحبة , تمكنها من تعزيز
آليات التواصل مع حاضرها ومستقبلها.

فما وصلت إليه البشرية من رقاء مادي مدني حضاري معرفي علمي , أو سميها ما شئت , إنما
هو من إنتاج العقائد بأنواعها , وقد تسيدت في القرنين الماضيين العقائد العلمية والفلسفية , لكنها ما
أغت أو قتلت العقائد الأخرى , وإنما تفاعلت معها ووضعتها على المحك , واستخرجت منها طاقات
التنافس ومدارك التفاعلات الحضارية المعاصرة , وجعلتها في حالة إدراكية متحفزة للتوافق مع
مكانها وزمانها وأحوال الناس وحاجاتهم.

أي أن العقيدة العلمية قد أسهمت في تجديد العقائد الأخرى بأنواعها , وأكسبتها قدرات الإنطلاق
الأصدق والأرجح نحو المستقبل.

وهذا يعني أن العقيدة العلمية من ضرورات إنعاش وتثوير العقائد الأخرى , وحثها على المضي
في سبل الأنوار , ودروب الإدراك المشرقة الساطعة.

إن التخوف من مفهوم العقيدة العلمية قد يفضي لتعزيز التخندق العقائدي , وتضييق الخناق على
الوجود الإنساني , وحرمان العقل من محفزات حضارية معرفية ذات قيمة إدراكية مطلقة.

بينما الإدراك الأوسع الذي أوصلتنا إليه العقيدة العلمية , جعلتنا ننقل إلى محطات كونية وندرك
بأننا موجودات في وعاء دوار خائف مرعوب في منفاه الكوني , وعليه أن يتفاعل مع مطلق
الأكوان , لكي يشعر بالأمان , وإلا فإنه يعيش في هلع وتوجسات وإحتمالات تقضي عليه , فما وجد
بدا من الدوران والغثيان , ليحقق حالة السكر الوجودي , والإنقطاع عن تصور مصيره ونهايته.

وهذا يعني أن لا بد من العودة إلى الله وإدراك الوجدانية , وأن الموجود الحي كون أصغر
إنطوى فيه الكون الأكبر , الذي عليه أن يتماهى معه لكي يكتسب وعي وجوده وحرية وقدرته على
التفاعل الصالح مع زمانه ومكانه , وأن الجامع (الفضاء الذي تجتمع فيه النفوس والأرواح والأفكار)
, هو الجوهر الذي يلد المفردات المضئية.

وفي الدول الغربية تجري على قدم وساق محاولات متنوعة للوصول إلى قناعات تساهم في
زعزعة قناعات سابقة , وهذا منهج تفكيري معروف في الأوساط العلمية , لأنها تجد أن التغيير سنة
الوجود , والأحوال تتبدل , وبهذا فإن كل ما فوق التراب وفي الكون بأسره يخضع لعمليات تبدل
وتغيير دائم.

فما دامت الأجرام الكونية تتحرك فأنها تتغير وتتغير , وهذه الرؤية أو إن شئت العقيدة الإدراكية
هي التي تتحكم بالنشاطات الحاصلة في هذه المجتمعات , فلا شئ ثابت وإنما نهر يجري ويسرع
بوثباته.

ووفقا لمنظور مجتمعاتنا , فإن الميل للثبات والجمود حالة راسخة في وعينا الجمعي وسلوكنا

أن العقيدة العلمية من
ضرورات إنعاش وتثوير
العقائد الأخرى , وحثها على
المضي في سبل الأنوار ,
ودروب الإدراك المشرقة
الساطعة

الإدراك الأوسع الذي أوصلتنا
إليه العقيدة العلمية , جعلتنا
ننقل إلى محطات كونية
وندرك بأننا موجودات في
وعاء دوار خائف مرعوب في
منفاه الكوني , وعليه أن
يتفاعل مع مطلق الأكوان ,
لكي يشعر بالأمان , وإلا فإنه
يعيش في هلع
وتوجسات وإحتمالات تقضي عليه

لا بد من العودة إلى الله
وإدراك الوجدانية , وأن
الموجود الحي كون أصغر
إنطوى فيه الكون الأكبر ,

الذي عليه أن يتماهى معه لكي يتسبب وعي ووجوده وحرية وقدرته على التفاعل الصالح مع زمانه ومكانه

وأفكارنا , وعندما نواجه إرادات التغيير ونتفاعل معها , كأننا نُصعق بها أو نحسبها شيئاً نعجز عن الإتيان به , بينما في جوهر ما عندنا من موروثات حضارية وإدراكية , يمكننا أن نأتي بأفضل منه لو تحررنا من التبعية والإنبهار.

وما جاء به السيد بيتر لا جديد فيه من وجهة نظري المتواضعة , فديدن بعض أصحاب المعرفة تحقيق الشهرة والإنتشار , ولكي يتم لهم ذلك لا بد من طرح يتسم بالإختلاف لتوفير مفردات تسويقية وربحية عالية.

فالكتب في المجتمعات المتقدمة مشاريع تدر أرباحا كبيرة , فقد تصبح مليونيرا بكتاب واحد , إذا توفرت له قدرات تسويقية ودعائية إستثمارية.

ويبدو أن كتبه قد حُضيت بقدر من التسويق والإستثمار , فانتشرت وترجمت وتحولت إلى أحاديث, وصار صاحبها يُدعى في مؤتمرات , وكل مؤتمر يدر عشرات الآلاف وأكثر.

وفي مجتمعاتنا لا ننتبه إلى القوة التسويقية والإستثمارية , التي يستند عليها السلوك في الدول المتقدمة , ويخضع كل شئٍ فيها مهما كان نوعه لقانون الربح والخسارة , ولهذا تجد مוזات وكتب وأشخاص وبهذا يتم تحقيق ربحية عالية.

بينما في مجتمعاتنا هناك مفكرون أفاض , لكن غياب مؤسسات الإستثمار بكتبهم وأفكارهم , يقلل من دورهم وتأثيرهم وإنتشارهم , من أمثال أستاذنا الجليل يحيى الرخاوي الذي يحمل رسالة تنويرية ذات قيمة فكرية علمية حضارية عربية إنسانية , تضع مجتمعاتنا على جادة الإبداع الأصيل المنير.

ومن خلال تفاعلي مع أصحاب الفكر والثقافة والعلم في الدول المتقدمة , أمس بوضوح أنهم يعرفون ما يعرفون وحسب , ولا يمكنهم الإدعاء بما لا يعرفون , ويميلون إلى الجد والإجتهد لتجديد معارفهم وتأهيلها للمعاصرة , وما من مفكر أو عالم إلا وتجدده محاطا بشركات إستثمارية تبحث عن تحقيق أقصى الأرباح.

أما نحن فعلماؤنا ومبدعونا فقراء , وفي عالم متقدم الذي يكتب مقالات مثلما نكتب يكون مليونيرا , لأن لكل نشاط ثقافي قيمة مادية , ولهذا يبدو ما نقوم به تضييع وقت!!

وبخصوص الأستاذ (بيترشيلديريك) , فلم أسمع به ولم أقرأ له , وقد أرشدني إليه أستاذنا العلامة يحيى الرخاوي , وأدهشني في ذات الوقت لأنه أقرنَ ما كتبتة سابقا بما يطرحه الأستاذ بيتر . إحترت في الأمر ولم أجد تفسيراً إلا أننا ربما نستقي من منبع واحد , لكن ما هو؟

فبدأت منذ يوم الإثنين 2015\3\16 , أقرأ بعض مقالاته التي تشرح إتجاهاته وأفكاره , وكتبت على هوامشها الآتي "الوحدانية , وأنت كون صغير إنطوى فيك الكون الأكبر , والمنحى الجمعي" , لأن جوهر ما يريد قوله محكوم بذلك , ووجدته يسعى لإثبات ما أثبتته المفكرون العرب قبل قرون!!؟

شككت في رؤيتي وتقييمي لمقالاته , وكانت المفاجأة أن إستمعت صدفة لمحاضرة له , عنوانها

وفقاً لمنظور مجتمعاتنا , فإن الميل للثبات والجمود حالة راسخة في وعينا الجمعي وسلوكنا وأفكارنا

عندما نواجه إرادات التغيير ونتفاعل معها , كأننا نُصعق بها أو نحسبها شيئاً نعجز عن الإتيان به , بينما في جوهر ما عندنا من موروثات حضارية وإدراكية , يمكننا أن نأتي بأفضل منه لو تحررنا من التبعية والإنبهار

في مجتمعاتنا هناك مفكرون أفاض , لكن غياب مؤسسات الإستثمار بكتبهم وأفكارهم , يقلل من دورهم وتأثيرهم وإنتشارهم

العودة إلى الربّ (الله) , يقول فيها أنه كان ملحدا , لكنه من خلال إقامته في الهند لفترة طويلة , مر بتجارب إدراكية أو معرفية , ومنها أنه إعتق الصوفية أو مارسها على أيدي متصوفين من مسلمي نيودلهي لفترة , حتى كاد أن يتحول إلى صوفي لولا بعض الطقوس كالصوم وغيرها , التي وجدها صعبة كما يقول , وبدى في المحاضرة يعرف عن الأديان كثيرا , وكأن تجربته الصوفية وإمتزاجها برؤى الديانات الهندية قد أعادته إلى ربّه!!

ولو سأله عن النفري والحلاج ورابعة العدوية وغيرهم , لحدّثنا عنهم بإسهاب , فهذا الرجل بدى وكأنه خريج هذه المدارس الإدراكية لا غير , وراح يعبر عنها بآليات بايولوجية وفلسفية ويؤسس عليها رؤيته الدينية!!

فهل لدينا منابع لا نشرب منها لكنهم يدعونها ويسقوننا منها!!

وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى بعض الملاحظات والمواقف

- في بداية التسعينيات من القرن العشرين كنت في العاصمة الأردنية عمان , وحضرت خطبة الجمعة في جامع الملك عبدالله , وكان الخطيب وزير الأوقاف آنذاك , وكان عنوان خطبته النفس في الإسلام , وقد ذهلت بما طرحه عن النفس , فكأنه شرح مرتكزات نظريات التحليل النفسي!!

- ذات يوم كنت في حوار مع مؤسس نظرية العلاج المعرفي , وهو يتحدث عن جوهر نظريته , فوجدتني بغتة أسأله عن إن كان قد إطلع على التراث العربي النفسي , فحدّق بوجهي مندهشا , وكأنه حسب ذلك إعتداءً على نظريته , لكنه فهم قصدي وفهمت قصده , فلا أدري لماذا شعرت أنها موجودة في أدبيات الرازي والغزالي وغيرهم ممن علقت في ذاكرتي أفكارهم.

ويبدو أن أفكارنا ربما يُعاد تصنيعها وتباع علينا , شأن كل شيء عندنا , فهل نبخس أنفسنا وما يتصل بها من موروثات!!

2015\3\18

ارتباطات ذات صلة

العقيدة العلمية الغائبة!!

www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiAbScDogma.pdf

د. صادق السامرائي

*** **

عن الأيديولوجيا والطب النفسي وما آل إليه حال ما يسمى "علم" حاليا

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocRakhAbScDogma.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

**** **

Arabpsynet



أستاذنا الجليل يحيى الرخاوي الذي يحمل رسالة تنويرية ذات قيمة فكرية علمية حضارية عربية إنسانية , تضع مجتمعاتنا على جادة الإبداع الأصيل المنير.

أما نحن فعلماؤنا ومبدعونا فقراء , وفي عالم متقدم الذي يكتبه مقالاته مثلما نكتبه يكون مليونيرا , لأن لكل نشاط ثقافي قيمة مادية , ولهذا يبدو ما نقوم به تضييع وقت!!

يبدو أن أفكارنا ربما يُعاد تصنيعها وتباع علينا , شأن كل شيء عندنا , فهل نبخس أنفسنا وما يتصل بها من موروثات!!